أحمد أمين (1886 – 1954) أديبا ومؤرخا قديرا

أد. أحمد زكريا الشلق

جيل عظيم :

يعد أحمد أمين أحد أعمدة الثقافة والفكر من رواد نهضتنا الأدبية فى النصف الأول من القرن العشرين ، لم ينل مايستحقه هو ومؤلفاته من اهتمام وتكريم، بل ربما لايعرفه الكثير من شباب هذا الجيل . لقد لحق من رواد الجيل السابق عليه الإمام محمد عبده ولطفي السيد وقاسم أمين ، ثم كان مجايلا للطفي السيد وطه حسين وعباس العقاد والدكتور محمد حسين هيكل وأمين الخولى وأحمد حسن الزيات وإبراهيم عبد القادر المازني وتوفيق الحكيم وإبراهيم بيومي مدكورومحمود تيمور وغيرهم .. إنه ينتمي إلى ذلك الجيل الذي يعرف بجيل الرواد أو العمالقة ، جيل المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء والفنانين الذي شهد النصف الأول من القرن العشرين قمة نشاطهم وآيات إبداعاتهم . لقد عاش تلك الفترة التي أعقبت الاحتلال البريطاني لمصر عقب فشل الثورة العرابية، وهي الفترة التي حفلت بالصراع السياسي، الذي انعكست آثاره على الحياة الفكرية والاجتماعية . لقد تبلور في هذه الفترة منهجان للعمل أحدهما يؤمن بالمجابهة المباشرة للاحتلال وهو الاتجاه الذي أسسه مصطفى كامل والحزب الوطني المصري ، والمنهج الثاني الذي يؤمن بتكوين المواطن المثقف الواعي القادر على المجابهة المباشرة للوجود الاستعماري بعد اكتساب الوطن لمقومات الاستقلال ، والذي تزعمه أحمد لطفي السيد وحزب الأمة ، ولم تكن العلاقة بين المنهجين من التعارض بحيث يكون تلاقيهما مستحيلا ، ولذا كانت المناداة بلإصلاح تلقى قبولا لدى الجميع .

لقد كان هناك نوع من التنوع الفكري في التكوين الثقافي لهؤلاء الرواد، نتيجة تعدد نظم التعليم في مصر ، فكان هناك الأزهر وإلى جانبه المدارس الأميرية التي يتم التعليم فيها على النمط المدني الأوربي ، حيث أنشئت لأبنائها المدارس العليا للحقوق والطب والزراعة وغيرها من التخصصات التي لا ترتكز على التراث ، وكان خريجوها ذوي عقليات تختلف

اختلافا بيّنا عن عقليات خريجي الأزهر . وقد كان للبعثات أتي أختير طلبتها من الأزهر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ثم المدارس العليا التي أنشئت بعد ذلك لدراسة علوم التراث بطريقة حديثة تختلف في كثير من جوانبها عن طريقة الأزهر، كان لها أثر في إيجاد نمط ثالث من المثقفين لاهو بالقديم الخالص ولا هو بالحديث الخالص وإنما يأخذ من كل بطرف .. ولذلك برزت في مصر ثلاث مدارس فكرية هي مدرسة المحافظين التي يمثلها أبناء الأزهر ومدرسة المجددين الذين اتصلوا اتصالا وثيقا بالفكر الأوربي، ثم مدرسة "المحافظين المجددين " الذين تلقوا ثقافتهم الأولى في علوم التراث، ثم هيأت لهم ظروفهم الاطلاع على أساليب الفكر الحديث فأخذوا من الثقافة الأوربية بنصيب . وإلى هذه المدرسة الأخيرة ينتمي أحمد أمين .

إنه ينتمي أيضا إلى ذلك الجيل الذي أنتج أهم أعماله فيما بين أوائل العشرينيات ونهاية الأربعينيات من القرن العشرين، أو بين ثورتي 1919 و1952، وهو جيل يتسم كل رجاله بموسوعية الثقافة، وتشعب فروع هذا الإنتاج وغزارته ، مع مقدرة عالية على التعبير بمستوى رفيع من اللغة العربية، فضلا عن المساهمة النشطة في الحياة العامة ، وخوضهم لمعارك أدبية وثقافية مهمة ، وهو ماانعكس على تطوير الحياة الثقافية في مصر والوطن العربي، استحقوا به عن جداره وصفهم بجيل "الرواد". إن تلك الفترةالتي عاشوا وكتبوا فيها كانت من أخصب فترات التاريخ المصري الحديث والمعاصر ، لم تشهد فقط قفزة جبارة في الكتابة الأدبية والتاريخية ، بل وفي مختلف أنواع الفنون ، في المسرح والسينما والموسيقى والغناء والنحت ..إلخ ، كما شهدت نتائج ثورة شعبية كبيرة، هي ثورة 1919، وتجارب سياسية واقتصادية مثيرة ، من أهمها حصول مصر على قدر من الاستقلال بتصريح 28 فبراير 1922 والدخول في تجربة برلمانية جديدة ثرية، وتجربة فرض الحماية للصناعات الوطنية . لقد حقق ذلك الجيل من الرواد توافقا فذا بين الثقافة العربية والثقافة الغربية. تمثل في المعرفة العميقة بكنوز التراث العربي واطلاع جيد على الكثير من كنوز الثقافة الغربية . سيطرة تامة على اللغة القومية مع إجادة في الوقت نفسه للغة أو أكثر من اللغات الأوربية . هذه السمة تحققت بدون

استثناء في كل الأسماء التي ذكرناها من رموز هذاالجيل، وقد يمكن أن نفسر بها كثيرا من سماتها الفريدة الأخرى .

والمعروف أن أحمد أمين لم تلق مؤلفاته العناية اللائقة بأهميتها، خاصة موسوعته القيّمة عن "فجر الآسلام وضحاه وظهره"، وقد كتب سيرة ذاتية قيمة وممتعة لحياته تحت عنوان "حياتى " صدرت طبعتها الأولى سنة1950 .. وضرب فيها مثلا أعلى يحتذى بها الشباب فى قوة الإرادة والإصرار والقدرة على الإنجاز، بالرغم من أنه – حسب تعبيره فى تواضع جمّ – "ليس بالسياسى العظيم ولا صاحب منصب خطير ولابالزعيم المصلح المجاهد .." وإن كانت سيرته تدل على أنه لايقل عن هؤلاء تأثيرا وإنجازا فى ثقافة وفكروطنه وأمته.

تكوينه العلمي والثقافي :

وتفيد سيرته أنه من أسرة من أصول فلاحية مصرية فى إحدى قرى محافظة البحيرة ، كانت تعيش على زراعة نحو اثنى عشر فدانا، توالى عليها ظلم السخرة وتحصيل الضرائب الفادحة حتى هجر بها عائلها القرية إلى القاهرة، وهو الأخ الأكبر لوالده، ليستقر فى حى المنشية بقسم الخليفة، حيث ولد كاتبنا فى أكتوبرعام 1886 ، وهناك تلقى تعليمه الأولى ، ولولا ذلك لنشأ فلاحا مع الفلاحين ، ثم إن عمه وجّه أخاه أمين نحوالتعلم وحفظ القرآن للإلتحاق بالأزهر، وقد عمل الوالد، إلى جانب ذلك ، مصححا فى المطبعة الأميرية ببولاق أحيانا ومدرسا فى مدرسة حكومية أحيانا أخرى. وكانت الدراسة بالأزهرآنذاك صعبة مرهقة، لكن والده صبر عليها ليحمل عبئه عن أخيه. وعندما تحسنت حالة الوالد بنى لهم بيتا مستقلا ، كان أكثر مافيه وأثمنه الكتب، لذلك "كانت أهم مدرسة تعلمت فيها دروسى فى الحياة بيتى".

كان بيتهم محكوما بسلطة أبوية تشعر شعورا قويا بواجبها نحو تعليم الأولاد ، فكان والده يعلمهم بنفسه ويشرف على تعليمهم فى مدارسهم، ولم تكن المدنية قد غزت البيوت بعد "وخاصة بيوت الطبقة الوسطى من أمثالنا" . وقد عمل الوالد مدرسا فى الأزهر وإماما فى مسجد الإمام الشافعى، لذا كان الشعور الدينى يغمر بيتهم ، " وقد استقر هذا الشعور فى

أعماق قلبى إيمانا بالله لاتزلزله الفلسفة ولا تشكك فيه مطالعاتى فى كتب الملحدين .. لقد ولدت عقب الاحتلال الانجليزى بنحو أربع سنوات، ولم يكن الفرنج قد بثوا مدنيتهم إلا فى أوساط من يحتك بهم من الأرستقراطيين، أما الشعب نفسه فى الأحياء الوطنية ـ كحينا ـ فلم يأخذ بحظ وافر منها" .

كانت الحارة وماحولها مدرسة ثانية تعلم فيها الطفل اللغة العامية القاهرية بألفاظها وأساليبها وأمثالها وزجلها، كما تعلم منها كل العادات والتقاليد. أما المدرسة الثالثة فكانت الكتّاب الذى تعلم فيه مكرها ، ولذا تنقل فى أربعة كتاتيب لمدة خمس سنوات حفظ فيها القرآن وتعلم القراءة والكتابة، حتى أدخله والده مدرسة "أم عباس " الإبتدائية المعروفة باسم "بنباقادن " وبدخوله هذه المدرسة بدأت ازدواجية التعليم في حياته ، فقد كان الكتاب ودروس والده يمثلان الثقافة المحافظة التقليدية ، أما مدرسة بنباقادن فقد مثلت الثقافة الحديثة ، وقد جاءت وقائع حياته بعد ذلك مؤكدة لهذه الإزدواجية . وذكر أنه لبس بدلة أفرنجية بدل الجلباب وطربوشا بدل الطاقية، "وأحسست علوا فى قدرى، وخالطت تلاميذا من الطبقة الوسطى أو العليا .. لقد كان والدى حائرا فى مستقبلى ، أين يوجهنى هل إلى الوجهة الدينية فيعدنى للأزهر، أو يوجهنى الوجهة المدنية فيعلمنى فى المدرسة الإبتدائية والثانوية ؟ إلى أن حسم الأمر وأخرجنى من المدرسة إلى الأزهر فى سن الرابعة عشرة، ولبست القباء والجبة والعمة والمركوب بدلا من البدلة والطربوش والجزمة ..وأحسست أن العمامة تقيدنى فلا أستطيع أن أجرى كما يجرى الأطفال، فشخت قبل الأوان".

وفى الأزهر حضر الفتى دروسا إضافية يلقيها الشيخ محمد عبده فى البلاغة أو التفسير عقب صلاة المغرب، ورأى أنه " كان مستنير الذهن لايعبأ بما يقوله شيوخ الأزهر برميه بالزندقة والإلحاد .. كنت أفهم منه ما لم أفهم من شيوخ الأزهريين إلى أن توفاه الله (1905) . لقد كان من حين لآخر يستطرد فى شرح حال المسلمين وإعوجاجهم وطريقة علاجهم". وذكر الفتى أنه لم يستسغ طريقة التدريس بالأزهر فى الحواشى والتقارير وكثرة الإعتراضات " وكانت فائدتى الكبرى من أزهر آخر أنشأه لى أبى فى غرفة من بيتنا ، ولم تكن دراسة اللغة

والأدب مما يعنى به الأزهر، ولكن عنيّ بها أبى الذى حبب إلى القراءة فى مكتبته".

في ميدان العمل :

وذكر أنه حاول الالتحاق بمدرسة دار العلوم ولكن ضعف بصره حال دون ذلك . وبعد أربع سنوات قضاها في الأزهر تركه نهائيا ليعمل مدرسا بمدرسة ابتدائية تابعة للأوقاف بالإسكندرية. وعلى ساحل البحر قرأ كتاب الغزالي فنمت في نفسه نزعة صوفية أصبحت سمة من سمات حياته الروحية بدرجة ما، وقد قضى في هذه الوظيفة سنتين ، كان يطالع فيهما صحيفة "المؤيد" ذات النزعة الإسلامية ثم صحيفة "اللواء" ذات النزعة الوطنية، ومن ثم بدأ يهتم بالحياة العامة اهتماما واضحا.

وقد عين بعد ذلك في أكتوبرعام 1906 مدرسا فى مدرسة "أم عباس " التي كان يتعلم فيها، وإن لم يمكث بها إلا عاما واحدا ، حيث افتتحت "مدرسة القضاء الشرعى" التي التحق بها عام 1907 لتبدأ فترة جديدة في حياته امتدت خمسة عشر عاما انتهت عام 1922، قضاها فيها طالبا فمعيدا فمدرسا ، وكانت فكرة هذه المدرسة قد نبعت فى فكر الشيخ محمد عبده واحتضنها سعد زغلول ، وتولى إدارتها الأستاذ عاطف بركات، فكانت هذه السنوات من أخصب سنوات حياته من حيث الإعداد العلمي والتكوين العقلي ..وقد ذكرأنه استمر لنحو أربع سنوات يدرس فيها التفسير والحديث والتوحيد على يد رجال من خيرة الأزهريين، بطريقة جديدة تعلم منها الدقة في التعبير والإيجاز في القول والتزام المنطق ، كما تلقى دروسا يلقيها أساتذة من خيرة ما أخرجته دار العلوم كالشيخ الخضري والشيخ المهدي، وهما من خاصة تلاميذ الإمام محمد عبده. فضلا عن طائفة من كبار رجال القضاء الأهلي الذين يعلّمون مبادئ القانون ونظام المحاكم واختصاصاتها، ويقربون الفقه الإسلامي إلى القانون الوضعي ، وأصول الفقه إلى أصول القوانين ، وإلى جانب الطوائف الثلاث طائفة رابعة تتولى تدريس العلوم والإنسانيات ألخ..

والمعروف أنه كان يتردد على بعض الدروس في الجامعة الأهلية التي افتتحت عام 1908 ، وهو لايزال طالبا في مدرسة القضاء الشرعي ، بطريقة لاتتعارض فيها دروسه في الجامعة مع دروسه في المدرسة . وهناك استمع إلى كبار المستشرقين الذين جذبته دروسهم ، خاصة دروس سانتيلانا وجويدي وغيرهما وكتب " لقد رأيت لونا من ألوان التعليم لم أعرفه، استقصاء في البحث وعمق في الدرس وصبر على الرجوع إلى المراجع المختلفة ومقارنة ما يقوله العرب وما يقوله الإفرنج واستنتاج هادئ رزين من كل ذلك "

وبعد أربع سنوات قضاها أحمد أمين في هذا الجو العلمي المتنوع، تخرج ليعين معيدا بمدرسة القضاء الشرعي ، يدرس مادة الأخلاق تحت إرشاد الأستاذ عاطف باشا بركات ناظر المدرسة الذي أثّر في تكوينه تأثيرا كبيرا ، فلم يأخذ عنه النزعة العقلية فحسب، بل أخذ عنه الصرامة والمطابقة بين القول والعمل وإيثار الحق دائما، والأهم من ذلك أن صحبته لبركات أثارت في نفسه الإحساس بحاجته الماسة للتعرف على الفكر الأوربي وضرورة تعلم إحدى اللغات الأجنبية . كما أثمر تدريسه لمادة الأخلاق في مدرسة القضاء الشرعي تأليف كتابه "الأخلاق "(1920) ، وترجمته لكتاب "مبادئ الفلسفة " من تأليف "رابو بورت"(1918) .

وقد ذكر في سيرته أن الأستاذ عاطف بركات " أثر فيّ أثرا كبيرا من ناحية تحكيم العقل فى الدين ، وكنت إلى هذا العهد أحكم العواطف لا العقل، ولا أسمح لنفسى بالجدل العقلى فى مثل هذه الموضوعات ، فالدين فوق العقل ، فإن جاء فيه مالايدركه العقل آمنا به ، لأن علم الله فوق علمنا ، وهو يأبى إلا تحكيم العقل والبحث عما لانفهم حتى نفهم ، وكان له غراما بالبحث وصبرا على الجدل .. وكان من أثر هذا الجدل الدينى إنى أعملت عقلى فى تفاصيل الدين وجزئياته ، أما جوهر الدين من إيمان بالله وجلاله وعظيم قدرته فظل ساكنا فى أعماق قلبى لم ينل منه أى جدل .. صرت أكثر تسامحا مع المخالفين وأوسع صدرا مع المعارضين . وتعلمت أهمية أن يتعلم الإنسان لغة أخرى لأن من اقتصر على اللغة العربية يرى الدنيا بعين واحدة " . لذلك شرع يتعلم اللغة الإنجليزية اعتمادا على نفسه على يدى سيدات انجليزيات

يعملن بالقاهرة، واستمر يلقى دروسه فى الأخلاق إلى جانب دروس أخرى فى الفقه أو التاريخ أو المنطق .

وفي هذه الفترة كان أحمد أمين يتردد على منزل الشيخ مصطفى عبد الرازق ويحضر الندوات التى تقام فيه، حيث يتلاقى فيها شبان من الأزهر مع شبان مدرسة الحقوق ، وبعض الشبان الذين يتعلمون فى أوربا، وكانت تتناطح فيها آراء الأحرار المتمدنين مع آراء المحافظين، ومؤيدى السفور ينازعون مؤيدى الحجاب، والوطنيين يثورون على الرجعيين، وكان شعورى الدينى وأنا طالب بمدرسة القضاء لايزال قويا كشعورى الوطنى ، حتى كان طلبة فصلى يسموننى " السّنى " بينما يسمون غيرى الفيلسوف أوالزنديق .

وخلال هذه الفترة اتصل بالأستاذ أحمد لطفى السيد وحزب الأمة وصحيفته (الجريدة) لينال شيئا من الثقافة السياسية والاجتماعية بفضل أحاديث لطفى السيد ومحاضرات المحاضرين والاتصال بنخبة من خيرة المثقفين في دار الجريدة. وذكر أنه فى عام 1914 كان يلتقى بعدد من خريجى مدرسة المعلمين العليا من المتفوقين المرشحين لبعثة للدراسة في انجلترا، وإن منعهم قيام الحرب من السفر ، فصادقهم وكانوا مثقفين من غير جنس ثقافته ، "كانت ثقافتهم عصرية بحته وثقافتى شرعية كثيرة وعصرية قليلا ، وكلهم يعرف من الدنيا الجديدة والمدنية الحديثة أكثر مما أعرف . وكنا نجتمع فى مقهى يطل على ميدان عابدين .. وشكّل أعضاؤها مدرسة لطيفة لى خلت من عبوس الجد وثقل المدرس والبعد عن الامتحان .. واشتركنا في ناد للإلعاب الرياضية بالجزيرة، وكانت عمتى أول عمامة اشتركت فى النادي ومارست الرياضة معهم" .

واتفقت هذه النخبة على تأليف لجان لدراسة أوضاع مصر من مختلف نواحيها ، وبدأت اللجان العمل إلى أن عصفت بها رياح الحرب، وإن استمر عمل "لجنة التأليف والترجمة والنشر" التى تولى هورئاستها وإدارة نشاطها ، فكان ينتخب بالإجماع رئيسا لها منذ تكوينها عام 1914 حتى وفاته عام 1954، وإن استمرنشاطها حتى أواخر الخمسينيات، بعد أن لعبت

دورا جليلا في نشر الثقافة، في مختلف فروع المعرفة في مصر والوطن العربي خلال فترة مابين الحربين حيث كانت قد طبعت أكثر من مائتى كتاب فى مختلف العلوم والآداب، كما ازداد عدد أعضائها إلى أكثر من ثمانين عضوا من خيرة المثقفين المنتمين إلى تخصصات مختلفة وإن كانت فيهم صفة واحدة مشتركة، وهي الجمع بين مستوى رفيع من المعرفة بالتراث والثقافة العربية ، ومستوى عال من الإطلاع على آخر تطورات العلم الغربي. وكان عدد كبير من أعضاء اللجنة من خريجي مدرسة المعلمين العليا، التي كانت تعد خريجيها للتعرف على الثقافتين العربية والغربية، ولم يكن أحمد أمين من خريجيها، لكنه كان من خريجي مدرسة أخرى راقية كان لها نفس الفلسفة والهدف، وهو تخريج مثقفين يجمعون بين الحسنيين : ثقافة عربية متينة، ومعرفة وثيقة ببعض ثمرات العلم الغربي، وهي مدرسة القضاء الشرعي.

كذلك فإن لجنة التأليف والترجمة والنشر أسست لنفسها مطبعة خاصة وأصدرت مجلة "الثقافة " والتى توقفت عن الصدور عام 1953، بعد أن تكبدت خسائرمالية حالت دون استمرارها . والمعروف أن أحمد أمين في هذه الفترة ترجم كتاب "مبادئ الفلسفة " تأليف رابوبورت لبساطته وشموله وطبع عام 1918، كما أشرنا، فكان أول نتاج ينشر له .

وقد حدثنا كذلك في سيرته عن جماعة من أصدقائه من ذوى الثقافة الفرنسية والتى كان عميدها الشيخ مصطفى عبد الرازق، وضمت منصور فهمى وعزيز ميرهم ومحمد كامل البندارى ومحمود عزمى وغيرهم . وكان يكثر فى هذه الجماعة ذكر روسو وراسين وموليير ودوركايم .. وكان إلى جانب هذه الجماعة، جماعة أخرى من أصدقائه ذوى الثقافة الإنجليزية التى يكثر فيها ذكر شكسبير وديكنز وماكولى وبرنارد شو وهـ. ج. ولز، والتى كان يغلب عليها المحافظة والاعتدال، بينما تغلّب على الجماعة من ذوى الثقافة الفرنسية التحرر والثورة على القديم .. وكان أحد أعضاء هذه الجماعة، وهو عبد الحميد حمدي، يصدر جريدة "السفور" التى شارك أحمد أمين بكتابة مقال أسبوعي فيها منذ عام 1918، وكان ذلك أول عهده بالصحافة والكتابة الصحفية . وقد ذكر أنه عندما فكر فى الزواج وجد أن العمامة تقف حجر

عثرة فى سبيل ذلك لأن ذو العمامة رجل متدين، والتدين فى نظرهم يوحى بالتزمت وقلة التمدن والحرص على المال . ومع ذلك وفّق إلى الزواج فى عام 1916 بالأسلوب التقيدى السائد فى ذلك الزمن ، فلم يرعروسه إلا ليلة زواجه .

وفيما يتعلق بموقفه من الحركة الوطنية والسياسية، فالمعروف أنه اشترك في النشاط الوطني في الفترة الأولى من شبابه، عندما كان هناك شبه إجماع على تأييد تيارالوفد وسعد زغلول، وكانت القضية السياسية قضية وطنية في المقام الأول. ففى هذه المرحلة من حياته كانت مصر تمور بالأحداث التى فجرت ثورة 1919. وكان لابد أن يساهم فى العمل الوطنى، وهو مدرس بمدرسة القضاء الشرعى، منذ تكّون الوفد واعتقل سعد زغلول ، وكانت جماعة السفور بالرغم من أنها كانت جماعة ثقافية، الإ أنها ما لبثت أن انخرطت فى القضايا الوطنية و السياسية ، حتى أنها أرادت أن يكون لها من يمثلها فى الوفد ، لكن سعد زغلول رأى أن يختار منها مصطفى عبد الرازق ليمثلها فيه، لكن الشيخ اعتذر بعد أن شاور أسرته . ولما اشتعلت نيران الثورة كان أحمد أمين من المتصلين بسكرتير الوفد عبد الرحمن فهمى الذى عهد إليه بالإشراف على عملين : أولهما إلقاء الخطب السياسية فى المساجد عقب صلاة الجمعة، فكان يجتمع بالزملاء ويوزعهم على المساجد ويعين لهم موضوع الخطبة، وثانيهما كتابة المنشورات الثورية . كما كان على صلة قوية بمحمد كامل سليم سكرتير سعد زغلول ، فلما أطلق سراح سعد وسافر إلى باريس ورافقه سكرتيره ، تولى أحمد أمين كتابة تقارير تصف الحالة فى مصر يرسلها إلى كامل سليم ليطلع عليها الزعيم . كما كان يشترك فى المظاهرات، وهو يلبس عمامته مصطحبا معه أحد القسس بملابسه الكهنوتية، وكانا يحملان علما يتعانق فيه الهلال مع الصليب مما يظهر قوة الوحدة الوطنية..

وقد علّق في سيرته على هذا النشاط فذكر أنه كان يشارك من صاروا زعماء سياسيين وإن لم يندفع إندفاعهم ولم يظهر فى السياسة ظهورهم، لأنه لم يملك شجاعتهم خوفا من السجن "وقد علمنى أبى التفكير فى العواقب .. كما أن مزاجى مزاج علمى لاسياسى ، فكنت أختلف عن زملائى السياسيين الذين يؤمنون بسعد باشا كل الإيمان ، لكننى كنت أؤيده وأنقده

، لهذا لم أظهر فى السياسة ظهور غيرى ولم أكتو بنيرانها وأنعم بجنائها كما فعل غيرى ".. وكان من الواضح أنه انصرف عن السياسة انصرافا تاما عندما تحولت إلى سياسة حزبية أساسها الانتصار لشخص دون آخر، لالمبدأ دون غيره.

ويذكر نجله الدكتور جلال أمين أنه لم ينضم إلى حزب من الأحزاب، إذ لم يستهوه واحد منها دون غيره ، وقد رأى السياسيين تحكمهم الأهواء وتغرهم المناصب ويفرحون بما لايفرح به ويأسون على مالا يأسى له. وإذا كان قد عدّه البعض من رجال الحزب السعدي فإن الأمر لايزيد في الواقع عن تقديره الفائق لشخصية الزعيم السعدي محمود فهمي النقراشي باشا ونزاهته، وليس إعجابا بسياسة الحزب . ولا عجب إذن إذ يرشح اسمه للباشوية أن يرفض الملك الإنعام بها عليه (إذ ماذا قال أحمد أمين في الثناء عليه ؟) وإذ يرشحه كبار السعديين وزيرا للمعارف يحتج شباب الحزب (إذ أين ولاء أحمد أمين للحزب ؟) . وقد ذكرأنه اعتذر للنقراشي باشا عن عدم قبول رئاسة تحرير صحيفة "الأساس" لسان حال الحزب السعدي.

ذكرنا أنه كان كان معجبا بالأستاذ عاطف بركات منذ تتلمذ عليه بمدرسة القضاء وزامله فيها فور تخرجه، وحدث أن أحيل عاطف بركات إلى المعاش، بعد أن اتهم بتحريض طلبة المدرسة أثناء اشتداد الحركة الوطنية، وتولى نظارة المدرسة ناظر جديد، لم يتقبل أحمد أمين العمل معه، فأصدر أمرا بنقله إلى سلك القضاء. وكان هذا آخر عهده بالتدريس بمدرسة القضاء، حيث عين قاضيا لمدة أربع سنوات، تنقل فيها من محكمة قويسنا الشرعية إلى محكمة طوخ ثم إلى محكمة الأزبكية، وذكر " ولم استمرئ العمل في القضاء أو أسعد به"، وبالرغم من أنه لم يستمرطويلا في العمل بالقضاء، إلا أنه استفاد منه تجارب عديدة من خلال معرفته بمشكلات الأسرة المصرية وبشؤن المجتمع المصري، تجلّى بعد ذلك في كتابه "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية".

أستاذا في الجامعة :

وفي عام 1926 دعاه طه حسين إلى أن يعمل مدرسا فى كلية الأداب فى الجامعة المصرية التى كانت فى قصر الزعفران فى ذلك الوقت ، فرحّب الأستاذ بذلك ووجد الأمر جديدا عليه، لاهو كالأزهر ولا كمدرسة القضاء، أساتذة كأنهم عصبة أمم ، انجليز وفرنسيين وألمان وبلجيك وقليل من المصريين ، وليس فيهم معمم سواه ، والعميد بلجيكى ، وبها أقسام متشعبة للفلسفة واللغات القديمة والجغرافية والتاريخ.. والطلبة أحرار يحضرون إلى الكلية أو لايحضرون ، "وبدا نسيج الكلية مهلهلا كما لو كان أزهر بقبعة " . وقبل بدء الدراسة فى السنة التالية سأله صديقه عبد الرزاق السنهورى : لماذا تصر على لبس العمامة التى هى رمز الدين وأنت لست كذلك، تدرس اللغة العربية والأدب العربى وهذه أمور مدنية لادينية ، وقد اقتنع المدرس الشاب بما قاله صديقه وقرر لبس البدلة والطربوش " وكتب "لقد تعلمت أن ميزة الجامعة عن المدرسة هى البحث ، فالمدرسة تعلّم ما فى الكتب والجامعة تقرأ الكتب لتستخرج منها جديدا، والمدرسة تعلّم آخر ماوصل إليه العلم، والجامعة تحاول أن تكشف المجهول من العلم ، وهى تنقد ما وصل إليه العلم وتعدّله وتحل جديدا محل القديم، فإن لم تقم بذلك كانت مدرسة لاجامعة.

وكان تفكيرأحمد أمين فى هذا الأمر قد مهّد للتفكير في مشروع واسع في البحث وضعه مع زميليه طه حسين وعبد الحميد العبادي لكتابة التاريخ الإسلامي ، خلاصته دراسة الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث فى العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام ، فيختص طه حسين بالكتابة عن الحياة الأدبية ، ويختص العبادى بالتطور التاريخي ، ويختص أحمد أمين بالحياة العقلية، ولذا فإنه أخذ يعد الجزء الأول الذى سمىّ فيما بعد "فجر الأسلام " وأنجزه فى أواخر عام 1928، فأحسن الناس استقباله مما شجعه على الاستمرار فى السلسلة، فكتب "ضحى الإسلام" في ثلاثة أجزاء (1933)، ثم "ظهر الإسلام " في أربعة أجزاء (1945)، كما هو معروف، ثم أضاف إليها جزءا أخيرا تحت عنوان "يوم الإسلام " (1952) فضمت الموسوعة هذه الأجزاء التسعة، التي كان يحب أن يصفها بأنها تبحث في تطور "الحياة العقلية" للحضارة الإسلامية، أي تطور الفكر الإسلامي،وكلها تتميز برصانة التحليل والبعد عن الهوى والدقة في البحث عن الأسباب والمسببات. وقد وصف طه حسين هذه الموسوعة بأنها " كنز من

أقوم الكنوز وأعظمها حظا من الغنى وأقدرها على البقاء ومطاولة الزمن " ، لقد جمع بين المعرفة الوثيقة بالتاريخ والتراث العربي والإسلامي، والتعرف على منهج البحث العلمي المستمد من قراءته لكتب الأوربيين عن الحضارة الإسلامية.. وقد أنجز أحمد أمين ما يخصّه من هذا المشروع، بينما انشغل زميلاه ، طه والعبادي، عن إخراج نصيبهما منه، وهكذا تخصص فى "الإسلاميات"، وكان في اسلامياته باحثا مؤرخا ، سار في تأليفها وفق منهج علمي محدد، التزم فيه بالموضوعية العلمية كأحسن ما يلتزم باحث ، لقد أولى هذه الإسلاميات من العناية والجهد ماجعل لها قيمة خاصة بين سائر مؤلفاته .

وإلى جانب ذلك درّس بعض الكتب الأدبية كطبقات ابن سلام وطبقات الشعراء لإبن قتيبة والكامل للمبرد ، ومالبث أن استحسن الكتابة في النقد الأدبي، وكانت أول دروسه بقسم باللغة العربية في هذا التخصص، الذي كان يدرس لأول مرة في كلية الآداب. وكانت قراءته لكتاب بالإنجليزية في النقد الأدبي قد جعلته يقبل على تدريسه مستعينا بما عرف من كتب النقد العربي ، حيث ظل سنوات يدرس هذاالموضوع. ومن الواضح أن هذه الدروس كانت أساسا لكتابه ذي الجزأين في "النقد الأدبي" . وقد مارس الكتابة الأدبية في كثير من فنونها ، فكتب المقال والترجمة الذاتية، بل فكر في كتابة القصة القصيرة وتهيأ للكتابة في الرواية كما قال، كما شارك في التأريخ للأدب ما يدل على عنايته بالأدب إبداعا ودراسة.

ولعل عمله في كلية الآداب قد أتاح له أن يوائم بين جهوده في التدريس وجهوده في التأليف، كما منحه فرصا للسفر إلى خارج مصر ، فزار اسطنبول عام 1928 وبلاد الشام والعراق عام 1931، ثم سافرإلى الحجاز مع بعثة الجامعة للحج عام 1937، فازداد معرفة مباشرة بالوطن العربي، وقد دون في سيرته مذكرات شيقة عن رحلاته تلك .

وفى عام 1932، أتيحت له فرصة أخرى للسفر إلى الغرب ليرى مدنيته الحديثة، عندما اختير عضوا فى مؤتمر المستشرقين فى "ليدن" بهولندا ، تلك الرحلة التى بدأها بزيارة باريس ثم لندن ومنها إلى هولندا بصحبة صديقه إبراهيم بيومي مدكور لحضور المؤتمر الذى

ألقى فيه محاضرة عن " نشأة المعتزلة ". المهم أنه شاهد معالم المدنية الحديثة ووقف على أسرار تقدم هذه البلاد، وكان منشغلا دائما بالمقارنة بين الشرق والغرب ، بعد أن كان لايرى إلا لونا واحدا ولايسمع إلا صوتا واحدا. والمعروف أنه قام برحلة أخرى إلى أوربا عام 1938 عندما أوفدته الجامعة إلى مؤتمر المستشرقين فى بروكسل، فزار ايطاليا وفرنسا ، كما زار سويسرا للمرة الأولى . المهم أن رحلاته هذه رسمت في ذهنه صورة واضحة للغرب في مقابل صورة الشرق الإسلامي ، فلم يملك ذهنه إلا أن يقارن بين الصورتين . وهي مقارنة انعكست آثارها واضحة في كتابه " الشرق والغرب" .

لقدعاصرأحمد أمين أزمة نقل طه حسين من عمادة كلية الآداب إلى وظيفة بسيطة فى وزارة المعارف عام 1932، فكان من المناهضين لذلك دفاعا عن استقلال الجامعة، وذكر أنه أوذى بسبب ذلك، حين منع من أن يحصل على درجة الأستاذية بحجة عدم حصوله على درجة الدكتوراه هو وبعض زملائه ، مما جعله يقدم طلبا للإمتحان لنيل هذه الدرجة عام 1935 وقدم كتابيه فجر الاسلام وضحى الاسلام كرسالة جامعية للمناقشة، ولكن رفض طلبه، ولم يحصل على الأستاذية إلا بعد عناء وبعد أن قدم استقالته لأنه لم يعامل معاملة زملائه.

وفى إبريل عام 1939 خلا منصب عميد الكلية فعينه فيه محمود فهمي النقراشى باشا، الذى كان وزيرا للمعارف (فى وزارة على ماهر 1939 – 1940) . وهكذا صار عميدا لكلية الآداب وظل فى منصبه لمدة عامين، حيث حدث خلاف بينه وبين وزير المعارف التالى (الدكتور محمد حسين هيكل) الذى تصرّف فى أمر مهم من أمور الكلية دون أخذ رأى العميد الذى قدم استقالته احتجاجا على ذلك. وعندما سئل عن شعوره لدى تركه العمادة قال كلمته العاقلة " أنا أكبر من عميد وأصغر من أستاذ " .

وفى عام 1940 اختير عضوا فى مجمع اللغة العربية ، فساهم فيه ماأمكنه من جهد أثناء فترة عمادته ، ورأى أنه كانت تسوده بحكم طبيعته نزعة المحافظة والبطء فى العمل وكثرة الجدل، ومع ذلك فإن عضويته بالمجمع فتحت له آفاقا للوقوف على مشاكلنا اللغوية والأدبية

، ومكنته من الاطلاع على كثير من آراء الباحثين والمفكرين. وكان له نشاط ملحوظ عندما اشترك فى لجان الأدب والأصول وألفاظ الحضارة والمعجم الوسيط . ومن البحوث التى ألقاها فى المجمع : اقتراح ببعض الإصلاح فى متن اللغة ، ومدرسة القياس فى اللغة، والجمع فى اللغة العربية. كما كتب عن أسباب تضخم المعجمات العربية، وقدم اقتراحا بتزعم المجمع المصري للحركات الأدبية في الشرق ..وهذه المقالات جميعها منشورة في مجلدات مجلة مجمع اللغة العربية .

وعندما فكّرأحمد حسن الزيات في عام 1933 فى إصدار مجلة أدبية، وشاركه بعض أصدقائه من لجنة التأليف والترجمة والنشر فى إخراجها فصدرت بالفعل مجلة "الرسالة" التي صارت أبرز وأهم المجلات الأدبية والثقافية آنذاك، وكان أحمد أمين يشارك فيها بكتابة مقال أسبوعى . وعندما حالت الظروف دون الاستمرار فيها، أخرجت اللجنة مجلة أخرى هي "الثقافة" وعهدت إلي أحمد أمين برئاسة تحريرها . كما طلب إليه أن يكتب فى مجلات الهلال والمصور وغيرهما فاستجاب، ولمّا كثرت مقالاته جمع الكثير منها وأصدرها فى عشرة أجزاء تحت عنوان " فيض الخاطر" ، وإن بقيت مئات المقالات والأحاديث لم تنشر في كتب .

وفى عام 1945 انتدب مديرا للإدارة الثقافية بوزارة المعارف العمومية فى عهد وزيرها عبد الرزاق السنهورى، وقد وضع تقريرا مفصلا مع زميلين له من لجنة الترجمة لتطوير نشاط هذه الإدارة ، اقترحوا فيه إنشاء " الجامعة الشعبية "،(التى سميت فيما بعد "مؤسسة الثقافة الشعبية" ثم صارت الثقافة الجماهيرية، ثم تحولت بعد ذلك إلى الهيئة العامة لقصور الثقافة..) وكانت تلقى فيها المحاضرات على الجماهير من غير تقيد بسن ، ولاإصدار شهادات ، وكان نشاطها يتركز فى شعب للدراسة النظرية والمهنية، وكانت تمارس نشاطها فى مدارس وزارة المعارف فى الفترة المسائية. وقد دعمتها الوزارة ماليا بعد أن نجحت فى آداء دورها وعمّمت فى الأقاليم، التى انتقلت إليها السينما بالأفلام الثقافية لتقدم عروضها بالقرى والمصانع.

وفى عام 1946 رشحه أحمد لطفى السيد وزير الخارجية حينذاك ، للمشاركة فى وفد مصر والعرب لمؤتمر المائدة المستديرة عن فلسطين، والذى عقد فى لندن بمشاركة وفد انجليزى يترأسه وزير الخارجية البريطانى مستر بيفن، وكتب أحمد أمين في سيرته عن ذلك المؤتمر" أنهم كانوا يتبادلون فى المؤتمر الخطب والآراء إلى أن انتهوا إلى مشروع إتفاق، وانتهى الحال بإنتهاء المؤتمر دون اتخاذ خطوات عملية لحل المشكلة االفلسطينية".

وقد عرض عليه عام 1946، عقب خروجه إلى المعاش، أن يكون مديرا للإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية فرحّب بذلك ، وفى عهده أنشأ مع زملائه معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية والذي يلعب دورا كبيرا في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ، كما وضعوا خططا للتعاون الثقافى عن طريق ترجمة الكتب القيمة ، فضلا عن عقد مؤتمرات لبحث المناهج الدراسية للدول العربية لتحقيق التكامل بينها فى مقررات اللغة العربية والجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية، كما عقد مؤتمر للآثار الشرقية عام 1947.

وفى عام 1948 قرر مجلس كلية الآداب ومجلس جامعة فؤاد الأول (القاهرة) منحه درجة الدكتوراة الفخرية، وكذلك منحه جائزة فؤاد الأول التى كانت تمنح لمن ينتج أحسن عمل أو انتاج فى الآداب والعلوم والقانون، وبهذه المناسبة أقيم حفل كبير فى قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة لتكريم "حضرة صاحب العزة الدكتور أحمد أمين بك العضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ". والمعروف أنه عين أستاذا متفرغا بكلية الآداب منذ عام 1949حتى توفي عام 1954 .

*** * ***

لقد ألف ابنه السفير حسين أحمد أمين كتابا عنوانه " في بيت أحمد أمين " صدر عام 1985 ألقى فيه بعض الأضواء الخاصة عن حياة والده العائلية، وسجل بعض الذكريات عنه وعن أسلوبه في تربية أبنائه، وعن أصدقائه ، وذكر ما يفيد بأنه كان على علاقة طيبة بجميع أدباء عصره ، ولم يكن بينه وبين أحدهم مايشبه الخصومة غير زكي مبارك، سببها أن والده

كتب عددا من المقالات في مجلة "الثقافة " (من مايو إلى سبتمبر 1939) تحت عنوان "جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي" عبّر فيها عن عدم تقديره للشعر الجاهلي، حيث كان يستنكر منه غلبة المدح وبذاءة الهجاء وجعجعة الفخر وتكلف المشاعر وزيف الوصف ..الخ ، الأمر الذي أثار زكي مبارك وجعله يكتب سلسلة مقالات في مجلة " الرسالة" تحت عنوان " جناية أحمد أمين على الأدب العربي" - جمعت بعد ذلك في كتاب - يرد بها على ما كتبه أحمد أمين. وعلّق حسين أمين على ذلك بقوله إن زكي مبارك قد يكون محقا في اتهام والده بعدم استساغته للشعر العربي القديم ولعدم اهتمامه نسبيا به..

وقد ذكر حسين أمين أيضا أن أحب كتاب العربية إلى والده هو أبو حيان التوحيدي قبل كل كاتب، يليه الجاحظ ، فابن عبد ربه .. وأنه يفضل مذهب المعتزلة على سائر المذاهب لاعتقاده ،الخاطئ ، أن مدرستهم أكثر المذاهب الإسلامية التزاما بالعقلانية والمنطق وحرية الفكر . وذكر أيضا أن والده لم يكن متعاطفا كثيرا مع الصوفية، التي هي في رأيه أحد أسباب ما أصاب العالم الإسلامي من كوارث وانحطاط . ومع ذلك كان الغزالي قريبا دائما إلى قلبه، وكتابه "المنقذ من الضلال " من أحب الكتب إليه .

أما ابنه الآخر الكاتب الكبير الدكتور جلال أمين فقد كتب مقالا مهما عن والده عنوانه "الحس الأخلاقي وسلطة العقل عند أحمد أمين" ذكر فيه "إن هذا الذي نسميه بضعف الهوى أو غلبة العقل عند أحمد أمين قد يكون هو المسؤل عن كونه عالما ومؤرخا أكثر من كونه فنانا أو أديبا بالمعنى الضيق للأدب . فليس لدى أحمد أمين عنف طه حسين وقوة عاطفته ، ولا قوة خيال توفيق الحكيم، ولكن هذه الصفة نفسها هي التي حمته من الإرتماء في أحضان السياسة، وهي نفسها التي حمته من عبودية المنصب وتملق الكبراء ". ويرى أن غلبة سلطان العقل عليه يمكن أن يفسر موقفه من قضية الأصالة والمعاصرة ، ويعتقد أن هذه القضية لم تكن محسوسة لديه بالدرجة نفسها التي بلغتها عند طه حسين مثلا ، الذي كان أكثر تعاطفا مع حركة التغريب، أو عند رشيد رضا الذي حسم القضية لصالح التراث ، فالقضية عند أحمد أمين معقدة وبالغة الصعوبة. لقد كان في عنفوان شبابه أكثر إعجابا بالحضارة الغربية منه في نهاية

حياته، وإن كان لم يفقد في يوم من الأيام إعجابه الشديد بالتقدم التكنولوجي لدى الغرب، وماتوفره رفاهية الغرب من احترام لآدمية الإنسان ..على أن أحمد أمين مع تقدم العمر به قويت شكوكه في الحضارة الغربية ، وكتب ينتقد المستشرقين بعنف. وعبر عن هذا الشك بقوة في كتابه " يوم الإسلام". وأبدى اعتقاده أن والده لم يعثر في هذه القضية على الحل الكامل الذي ترتاح إليه نفسه . ولهذاالسبب كتب عباس العقاد في رثائه مقالا بعنوان "المدرسة الوسطى" وكان يقصد بذلك أن أحمد أمين لا ينتمي إلى المدرسة التي ترفض التغريب برمته ولا إلى المدرسة التي تتنكر للتراث .

وثمة جانب آخر من جوانب شخصية أحمد أمين وإنتاجه هو ذلك التركيب الفريد بين التدين العميق والنزعة العقلانية البالغة الاستنارة ، ولا نظن أن أحدا من مفكري جيله قد اجتمعت لديه هاتان النزعتان بمثل هذا الانسجام والتوافق . إن من المستحيل على من يقرأ لأحمد أمين أن يشك لحظة في عمق إيمانه وصدق إسلامه، ولكن من المستحيل أيضا على من يقرأ له أن يشك في عقلانيته واستنارته.. إن الموقف الديني عنده لايحل محل التفسير العقلي بل يكمله ، والعاطفة الدينية لا تضيق بالانتصارات المتتالية التي يحققها العقل ، كما أنها لاتحاول منافسة العقل في ميدانه ، بل هي تتوّج عمله وتعطيه معناه. العقل والدين يتعايشان عنده تعايشا سلميا رائعا .. هكذا كان موقف أحمد أمين الصادق دائما مع نفسه، كان مفتونا بحضارة الغرب دون انهيار نفسي أمامها، مؤمنا بحتمية التطور دون تنكر للثابت من نوازع الإنسان وحاجاته ، أو بكلمة موجزة : أحمد أمين الثائر المحافظ، أو العلماني الورع .

وقد عبّرجلال أمين بصدق عن إعجابه بسيرة والده الذاتية، فذكر أنه قدم لنا فيها صورة صادقة كل الصدق ، ليس فقط لحياته بل لحياة مجتمعه في عصره ، فوصف الحياة الاجتماعية في الحارة والكتّاب والجامعة ، وحلل المجتمعات الأوربية والشرقية التي أتيحت له زيارتها ، وكأنه يريد الإمتاع بقدر ما يريد التنوير، وأن عباراته تأتي مباشرة مقتضبة لاتزيد كلمة واحدة على ما يفي بالغرض.. وقد كتب جلال نفسه كثيرا عن والده في سيرته الخاصة التي صدرت تحت عنوان "ماذا علمتني الحياة ؟ "(2007) فليرجع إليها من يريد الاستزادة.

انتاجه الأدبي والثقافي :

أما عن مؤلفاته وكتاباته فقد كان أحمد أمين عالما محققا غزير الإنتاج ، يتميز بسعة المعرفة وبجلد وصبرشديدين على الدراسة ، كما يتميز بمنهج حديث للبحث العلمي طبقه في مؤلفاته التاريخية وفي معظم كتاباته، مستفيدا من كتابات المستشرقين عن التراث الإسلامي، أولئك الذين استمع إليهم وقرأ لهم ورافقهم. وعلى هذاالأساس من المنهج كتب مؤلفاته الآتية:

كتاب الأخلاق (1920) ثم فجر الإسلام (1928) وضحى الإسلام بأجزائه الثلاثة (1933-1936) ثم ظهر الإسلام بأجزائه الأربعة (1945- 1955)، وكتاب " زعماء الإصلاح في العصر الحديث" (1948) ، كما كتب سيرته الذاتية الممتعة والقيمّة هي (حياتي) كما أشرنا، والتي نشرها عام 1950، وكتبه: المهدي والمهدوية (1951) وهارون الرشيد (1951) والصعلكة والفتوة في الإسلام (1952) ، وكتاب أكمل به سلسلة التاريخ الإسلامي هو " يوم الإسلام" (1952) . وفي نفس العام نشر كتاب من جزأين في النقد الأدبي، وفي عام 1953 أصدرقاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، وأعقبه بكتاب الشرق والغرب (1955) وفي عام 1960 صدرله كتابان بعد وفاته هما : ثورة العالم الإسلامي اليوم ، وكتاب عن الإمام محمد عبده. ومن المهم الإشارة إلى أنه جمع عشرة أجزاء من مقالاته التي نشرت في العديد من الدوريات والمجلات، وأصدرها تحت عنوان " فيض الخاطر" ، وقد صدرت خلال الفترة (1938 -1956).

وفي مجال التحقيق والترجمة : حقق كتاب " حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي صدر عام (1952) ، واشترك مع زكي نجيب محمود في تأليف : قصة الفلسفة اليونانية (1935) وقصة الفلسفة الحديثة (1936) ، وقصة الأدب في العالم (1943 -1947) ، كما شارك في تحقيق كتب : الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، والهوامل والشوامل للتوحيدي وابن مسكويه، والبصائر والذخائر للتوحيدي، والمكافأة لأبي جعفر الكاتب ، وتصحيح وشرح ديوان حافظ

إبراهيم . فضلا عن المشاركة في تأليف عدد من الكتب المدرسية في الأدب وتاريخه، والبيان ، والمعاني، والمطالعة ، وقواعد اللغة العربية.

ويمكن الاستزادة عن أعمال وكتابات أحمد أمين بالرجوع إلى كتاب حمدي السكوت ومارسدن جونز : سلسلة أعلام الأدب المعاصر في مصر، الكتاب الرابع، عن أحمد أمين .

*** * ***

وقد لا يتسع المقام هنا للحديث المفصّل عن أهمية أعماله حميعا ، لكن من المهم أن نشير إلى أن أحمد أمين لم يتخل عن طبيعته كمعلم يخاطب الشباب ويحثّهم على القراءة والتسلح بالمعارف والاتجاهات الجديدة، وذلك في الكثير من مؤلفاته لأنه كان يعتبر نفسه صاحب رسالة ـ وكان كذلك بالفعل ـ يؤديها بثقة العالم وأمانته وأستاذيته . فعندما أصدر كتابه عن "الأخلاق" عام 1920 والذي كان يدرّسه في مدرسة القضاء الشرعي ، قدّمه بعبارات تفيد هذاالمعنى، فذكر أنه وضعه ليبين لهم أهم نظريات العلم، ليوسع نظرهم فيما يعرض عليهم من الأعمال اليومية ، ويعدّهم للتوسع في علم النفس والأخلاق والاجتماع وذكر " كتبته بلغة العصر وبروح العصر، فإن لكل زمان لغة هي أقرب إلى الفهم وروحا تتطلب معاني جديدة ونمطا في الكتابة جديدا. ولعله أول كتاب في العربية من نوعه، من حيث موضوعاته ونمطه، على حاجتنا الشديدة إلى كثير من الكتب في هذا الموضوع الذي عنيت به الأمم الحية".

وعندما ألف كتابه" زعماء الإصلاح في العصر الحديث " عام 1948، الذي ضم سيرة عشرة من المصلحين المحدثين، في الأقطار الإسلامية المختلفة، من أبرزهم جمال الدين الأفغاني وخير الدين التونسي وعلي مبارك وعبد الله نديم وعبدالرحمن الكواكبي والشيخ محمد عبده .. كتب أنه يرجو ـ فيما يصوّر من حياة المصلحين ونوع إصلاحهم ـ باعثا للشباب يستثير هممهم، فيحذون حذو أولئك المصلحين ويهتدون بهديهم، وينهضون بأممهم ".

وقبل أن نختتم حديثنا عن هذاالأستاذ الجليل، الذي كان راهبا من رهبان العلم والأدب، لابد من الإشارة إلى أنه كان من أوائل الكتاب الذين عنوا باللغة الشعبية (العامية) وبالأدب الشعبي

، ذلك أن هذه اللغة تنتمي بأصولها إلى اللغة العربية الفصحى ، لذلك وضع " قاموس العادات والتقاليدوالتعابير المصرية" عام 1953، بعد أن ثبت لديه "أن المؤرخين قد قصّروا فأهملوا الجوانب الشعبية عند كتابتهم التاريخ اعتزازا بأرستقراطيتهم، مع أن الأدب الشعبي ـ في نواح كثيرة ـ لايقل شأنا عن اللغة الفصحى وأدبها ، سواء من حيث فنها أو من حيث دلالتها على حالة الشعوب" . وكان متنبها إلى ضرورة دراسة العادات والتقاليد والأحوال الاجتماعية التي سببتها ودلالة هذه على الطور الاجتماعي الذي تعيشه مصر .. كما أن التعابير في حاجة إلى أن تدرس دراسة لغوية لمعرفة أصولها..و رأى كذلك أن الذين عنوا باللغة الشعبية جمعوا مفردات، لا تراكيب وأساليب ، مع أن الناحيتين يكمل بعضهما بعضا . وأفاد بأن جهده الذي قدمه في هذاالقاموس يحتاج إلى من يكمله. لقد كان مؤمنا بأن في العادات والتقاليد دلالة على نوع أخلاق الشعوب وعقليتها ، وأن في التعابير الشعبية من أنواع البلاغة ما لايقل شأنا عن بلاغة اللغة الفصحى .

تحية إلى روح هذاالأديب والمؤرخ والمثقف رفيع المقام الذي خدم الثقافة المصرية خدمات جليلة في كل المؤسسات والمجلات الي أنشأها، والهيئات التي درّس بها، وترك لنا تراثا نتعلم منه ونعتز به .

أهم المصادر لمزيد من الاطلاع

- أحمد أمين : حياتي ، سيرة ذاتية ، دار الشروق، القاهرة 2008 .

_____: زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية 1948.

_____: كتاب الأخلاق ، طبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 2022 .

- جلال أمين : شخصيات لها تاريخ ، صدرعن دار الشروق ومكتبة الأسرة، القاهرة2008

_____: ماذا علمتني الحياة ، سيرة ذاتية، الطبعة السادسة ، دار الشروق 2009 .

- حسين أحمد أمين : في بيت أحمد أمين ، كتاب الهلال بالقاهرة ، عدد يوليو 1985 .

- حمدي السكوت ومارسدن جونز:أحمد أمين، سلسلة أعلام الأدب المعاصر في مصر، الكتاب الرابع ، مركزالدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة 1981 .